

صاحب الجلالة يرد على كلمة الرئيس الفرنسي

حضر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مأدبة عشاء أقامها الرئيس الفرنسي تكريما لجلالته. والقى الرئيس الفرنسي كلمة في نهاية مأدبة العشاء.

سيدي رئيس الجمهورية

من الأكيد ان الكلام بعد العبارات التي فهتم بها في حق بلدي يصبح أمراً عسيراً، لأن ذلك يتطلب في نفس الوقت ذاكرة قوية وحساسية مرهفة وخاصة الوفاء الكبير لروابط الصداقة التي نسجتها الأجيال المتعاقبة بين فرنسا والمغرب، ومع ذلك سأحاول ان أعبر باسم بلدي لفرنسا من خلالكم عن مشاعرنا الودية والآمال المشتركة الكفيلة على المدى المتوسط والمدى البعيد بتتويج التعاون الذي تميز في كل حين باخلاص وتفانيهما في سبيل تحقيقه.

ان المهام الملقاة على عاتق فرنسا الدولة الاوربية العظمى والدولة المتوسطية العظمى والعضو الدائم في مجلس الأمن تجعلها موجودة على كل الواجهات، ولكن ليس كيفما كان الوجود، لأنكم سيدي الرئيس لستم أحراراً وليس بلدكم حراً، فأنتم سجناء تاريخكم كما انكم أسياد مصيركم.

فماذا نلاحظ ونحن نتتبع السياسة الديبلوماسية الفرنسية في جنوب آسيا او في الخليج أو في أمريكا اللاتينية أو في الشرق الأوسط أو في شمال افريقيا.

اننا نلاحظ أولا ان مواقف فرنسا — ولو انها تأتي متأخرة في بعض الأحيان — تكون ثمرة تفكير عميق وتحليل نابع من ذاكرة شعب كانت له اتصالات تاريخية مع كافة جهات الدنيا، وقد كان لفرنسا وجود في أمريكا اللاتينية خلال حقبة من تاريخها، وفي الهند، وفي افريقيا وآسيا.

ان جهود فرنسا وخاصة في السنين الأخيرة قد تميزت في المقام الأول بارادة دعم السلم والمحافظة عليه بمنأى عن القوة، لقد رأينا ذلك بصفة خاصة عندما تعلق الأمر بمشكل يشغل بالنا نحن العرب ألا وهو نزاع الشرق الأوسط، هذا النزاع المأسوي الذي يفرق بين أبناء سيدنا ابراهيم عليه السلام، وعندما أقول أبناء سيدنا ابراهيم أسمح لنفسي بالتحدث ليس فحسب باسم اليهود والمسلمين ولكن أيضا باسم المسيحيين، منذ ان جعلنا نحن المغاربة — قداسة البابا يوحنا بولس الثاني خلال زيارته للمغرب — ندرك بأن الديانات الثلاث التي تحدثت عنها لا نجد فحسب مقابلها في الانجيل في الثلاثي المقدس، وانما مازالت وستظل حية واعدة وايجابية وبناءة، كما بين ذلك ويبينه التاريخ في هذا النزاع.

وكيفما كانت نظرتنا الى هذا النزاع فليست هناك سوى طريقة واحدة لتسويته، وهي الاقتناع بأن العنف لن يحل اي مشكل، وانه ابتداء من اليوم الذي يصبح فيه مستقبل هذه المنطقة يتحدد بالحوار اعتقد عندئذ اننا ضيعنا وقتاً كثيراً برفضنا فتح الحوار ومواصلته بطريقة سليمة.

ولكن كل حوار يتطلب من يجريه، أنهم رجال لهم حساسياتهم وحساباتهم المطبوعة بالحقد والانتقام وغباوتهم التي تقف حاجزاً في وجه القيام بالخطوة الاولى مع ان الخطوة الاولى هي من باب الفضيلة وهي منبع النبل، لذلك فاذا لم يرغب احد في القيام بالخطوة الاولى فلنبحث عن طرف آخر يمكنه ان يقوم بها بدلا عنا، وكما ذكرت لكم ذلك بعد ظهر اليوم عند تحليلي لما يجري حولي لم اكتشف شيئاً غير عادي، واني ألاحظ ان من بين القوى العظمى الاعضاء في مجلس الأمن نجد ان فرنسا هي البلد الوحيد في اعتقادي الذي يمكنه ان يثير هذا الحوار، ذلك ان الولايات المتحدة متورطة جداً في النزاع، كما ان الموقف الأخير للحكومة البريطانية .

المتمثل في رفض استقبال الوفد الاردني الفلسطيني المشترك موقف غير ودي، والاتحاد السوفياتي لم يعد بعد علاقاته الديلوماسية مع اسرائيل، اما الصين فانها بالرغم من اهتمامها بهذا المشكل فهي لا تشارك فيه بصورة نشطة، ماذا بقي اذن ؟ بقيت فرنسا التي تحدث الناطق باسمها الأكثر رسمية وشرعية وهو رئيسها، بكل شجاعة خلال زيارته لمنطقة الشرق الأوسط عن حقوق العرب في اسرائيل وانشغالات وحقوق الاسرائيليين في الأرض العربية، ان هذا الموقف لم يكن أبداً موقفاً ظرفياً، فلم يكن خطاب رجل تولى بعد فترة قصيرة مقاليد الحكم ببلده، لا. لقد كان تعبيراً صادقاً وعميقا عن اقتناعكم، أقول صادقا لأنكم كنتم تفكرون فيه، وأقول عميقا لأنكم استمررتم في التعبير عنه أربع سنوات من بعد ذلك، لذلك سيدي الرئيس ومع اني لستُ مفوضاً من لدن اي أحد أقول لكم بصفتي رئيس دولة عربية لها مسؤوليات عربية، سيدي الرئيس، اننا نعتمد كثيراً عليكم وعلى فرنسا.

لي اليقين انه عندما يحين الوقت فلن تتملصوا انتم ولا الشعب الفرنسي من مثل هذه المهمة، ذلك ان فرنسا علمتنا منذ عدة قرون كيف تتعامل مع التاريخ وكيف تتفاعل مع التاريخ.

لقد قلتم الكثير عن بلدي سواء عن ماضيه أو حاضره، ولبلدي أكثر من ماضي ككل بلدان العالم على فترات متعاقبة، وهل يمكن القول ان ماضينا القريب صنعناه بمفردنا، لا أعتقد ذلك، فرغم التقلبات والهزات والخلافات التي قامت بين المغاربة والفرنسيين فان العشريات الثلاث أو الأربع الأخيرة بالمغرب صنعنا تاريخها معاً، لأن المغرب يرى ان عليه كيفما كان الأمر ان يأخذ أحسن ما عند الغير ولو كان خصماً، وقد حاولنا أن نأخذ من ثقافتكم ومن علمائكم وأساتذتكم أحسن ما يمكننا أخذه، لكي نعيش بصورة أفضل، ولكي نساعد أصدقاءنا حيثما كانوا على الحياة بصورة أفضل.

أعتقد ان محاولتنا لم تكن سلبية تماماً، واننا أخذنا منكم أشياء هامة لأنفسنا ولافريقيا ولكل أصدقائنا وجيراننا، وأفدنا شيئاً ما فرنسا البلد الصديق العزيز علينا.

سيدي رئيس الجمهورية

تحدثتم بتأثر بالغ عن والدي المعظم طيب الله ثراه، لقد تحدثنا عنه منذ قليل، وقلت لكم انه كان قائداً عظيماً، واتذكر احدى الجمل التي كان يرددها الى ان وافته المنية، فقد أوصاني بان احفظ الجميلَ ونهاني عن التسامح أبداً مع ناكر الجميل، كان ذلك هو النهي الوحيد الذي قاله لي في حياته، وهو لا تسامح أبداً مع ناكر الجميل، ولكن بالمقابل احفظ الجميل.

سيدي الرئيس

اننا نعترف لكم بهذا الجميل منذ 20 غشت 1953، أي منذ اثنتين وثلاثين سنة، لقد كنتم في ذلك الوقت الرجل الشجاع والوزير الذي قال : اننا لا نقبل فقط هنا في باريس بالامر الواقع، ولكننا أيضاً لا نقبل أبداً ان تخرق فرنسا المواثيق التي أبرمتها.

اذن فأنا سعيد جداً — سيدي الرئيس — شعبي وأنا بالبرور بوالدي المغفور له وذلك بعدم نكران الجميل.

قلت لكم قبل قليل خلال محادثاتنا انني تسلمت لائحة الشخصيات المدعوة لهذا الحفل ولاحظت أنكم حرصتم من باب الصداقة على أن تجمعوا بهذه المناسبة — وكما سميتموهم — أولئك الذين ساهموا في انهاء المأساة



الفرنسية المغربية بالتفاهم، وفي ظل الابقاء على الروابط بين البلدين، ولا أريد ان أنهي هذا الخطاب دون أن أعبر لهم عن شكري الجزيل، وهو الشكر الذي يمكن التعبير عنه في الحاضر دون أن يقتصر على الحاضر كما يروي على الحاضر في ديمومته التي لا بداية ولا نهاية لها، أشكركم أيضاً على أنكم فكرتم في دعوتهم لان ذلك يجعل من هذا الحفل ليس مجرد حفل رسمي، بل أكثر من ذلك حفل تلاقي الأصدقاء وعلى أية حال فإذا كان لكل هذه الشخصيات التي أعلنتم عن حضورها قبل قليل من قاسم مشترك يجمع بينها فأنا سعيد بأن يكون هو المغرب.

أدعوكم ايها السادة والسيدات الى ان ترفعوا انخابكم كما تقتضي العادة بذلك من أجل ازدهار فرنسا وحضورها الدائم على واجهات التاريخ وسعادة السيد رئيس الجمهورية وكافة المدعوين.

الأربعاء 14 ربيع الأول 1406 — 27 نونبر 1985